جامع التواريخ

— أو —

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي

— ١٧ —

حدثني أبو طاهر المحسن بن محمد بن الحسن الجوهري الشيرازي المعروف بابن المقتفي وهو أحد الشهود بمدينة السلام قال قال لي أبو الفضل العباس ابن فسانجس : كسبت في مدة من تصرفي مع السلطان بفارس خمسين الف الف درهم ، وصادرني علي بن بويه في مدة مقامي بشيراز على ستمائة الف دينار متفرقة سوى ما استخرجه من خراج ضيعتي ثم اقتطعها بالحقين ، وأنا أقول : لو لم نعتبر في الزمان الا بهذه الحكاية لكفى ، لان أبا الفضل ماتقلد اكثر من كتابة فارس وخلافة العمال بها عليها أو على بعضها في بعض الأوقات فظفر بهذا المال ، وقد تقلد أبو الفرج محمد بن العباس ابن فسانجس دواوين العراق مجموعة ثماني وعشرين سنة ثم الوزارة ثلاثة عشر شهرا وبلغ المبالغ التي لم يبلغ اليها أبوه قط ، فلما أرهق بالمطالبات في وقت النكبة واستقصي عليه بلغت مصادرته الف الف ومائتي الف درهم تكشف[1] بأدائها .

* * *

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد قال حدثني بعض المشايخ : إن

---

(١) أي افتضح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القاسم[١] بن عبيد الله كان يخاف المعتضد ويخفي شربه ولعبه لئلا يتصوره بصورة حدث متوفر على لذاته يخلّ بالعمل فيفسد رأيه فيه ، وكان مع ذلك بالشباب والحداثة يشتهي اللعب ، فاذا أمكنه أن يخفيه جداً استرق الليلة أو اليوم من عمره فشرب ، قال فأراد الشراب ليلة من الليالي على الورد فاحتال في جمع شيء كثير منه وحصله خفياً ، وجمع من المغنيات جمعاً كثيراً وفيهن واحدة كان يشتهيها ويتحلاها ، وجلس وليس معه غيرهن ، فشرب وخلط بالورد الدراهم الخفاف ونُثر عليه والناس يسمون ذلك شاذكلي[٢] ولبس ثياب قصب مصبغات من ثياب النساء ، وأدخل تلك المغنية معه لشدة شغفه بها ، ومضت ليلة طيبة فقطع الشرب من نصف الليل خوفاً من الخمار ونام ، وركب إلى المعتضد من غد وأقام في الخدمة الى حين وقت انصرافه ، فلما أراد الانصراف دخل ليراه المعتضد وينصرف ، فاستدناه المعتضد الى ان صار بحيث لا يسمع كلامه غيره ، فقال له : ياقاسم ! لو دعوتنا البارحة فكنا نلعب معك شاذكلي ، ولكنك احتشمت لأجل المصبغات التي لبستها انت وعشيقتك ، قال فكاد القاسم ان يموت جزعاً ، فقال له : ما لك قد جزعت واي شيء في هذا ؟ لو علمنا انه يلحقك هذا ما أخبرناك بشيء ولا آذيت قلبك امض في ودائع الله . قال فعاد القاسم

(١) الفرج بعد الشدة ١ : ١٠٣ مع اختلاف في العبارة

(٢) من كلمتين فارسيتين شاد يعني طري و كل يعني ورد . « كذا يرى الأستاذ مرجليوث ونرى أن معنى شاد هنا السرور و كل الورد والاشارة في ذلك تعود الى نثر الورد عليهم في مثل تلك المجالس » (م)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى داره كئيباً ، وجمع نصحاءه وأخبرهم الخبر وقال : ما أراد المعتضد بهذا الا ليعرّفني ان هذا القدر من أخباري ليس يخفى عليه ، وإذا كان على الحقيقة قد علم هذا القدر ، فكيف يخفى عليه مرافقي وما هو أظهر من هذا من أخباري و كيف يكون عيشي وانه لا ينستر على مثل هذا؟وما ترون ما صنع ؟ فأحذوا يطيبون قلبه ولا يزداد جزعاً ، إلى أن قال لهم : ان لم أعرف من رقى هذا الخبر انشقت مرارتي وقتلت نفسي ، فقالوا له نحن نبحث ونتعرف ، فابتدر أحدهم وقال : أنا أكفيك أيها الأمير هذا . قال وجعل ذلك الصاحب يطوف حوالي دار الخليفة ليجد من يشبه صاحب خبر فيخمن عليه فما ظفر بشيء يومه ذلك ، فلما كان من الغد طاف الدواوين ومجالس أصحاب البريد والخبر يومه اجمع فما ظفر بشيء ، فلما كان اليوم الثالث طاف دار الوزارة ومقاصيرها فلم يظفر بشيء ، فلما كان في اليوم الرابع وقف على دابته في باب العامة في دار الوزارة متحيراً لا يدري ، ينتظر ان يخرج الوزير راكباً فيركب معه المركب [1] فيتفقد الوجوه اذ كان لم يبق له شيء يجده ، وإذا هو برجل شاب يحبو على ركبتيه زمانةً كما يكون الزمن الذي يتصدق [2] وقد جاء قبل طلوع الشمس بشيء كثير فزحف ودخل على البوابين فلم يمنعوه ، قال الرجل فحين بلغ العتبة وقف مع البوابين يحدثهم ساعة وأنا أصغي اليه ويسألهم عن أخبارهم ويدعو لهم ، وهم على بشاشة إلى أن أخذ بهم في غير ذلك الحديث الى أن قال : من بكر اليوم الى

(١) لعله : في الموكب (٢) أن يسأل الصدقة وهو عامي كما نبه على ذلك الجوهري (م)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدواوين ومن دخل (وحجب)؟ فقالوا له: فلان وفلان ، فحين سمعتُ ذلك علمتُ أنه صاحب خبر ، فأتبعته بصري إلى أن جاز البوابين ودخلتُ وراءه ، فبلغ إلى أصحاب الستور ، فكانت صورته معهم كصورته مع أولئك ، فأخبروه بما لم أكن أعلم مع اختصاصي بخدمة الوزير من وصول الناس اليه وحجبهم عنه ، وتجاوز الى دهليز العامة فنزلتُ عن دابتي وتبعته وهو لا يفطن لي فبلغ الى موضع الحجاب ، فولع به الحجاب ولم يحدثهم بشيء ولم يحدثوه ، ودعا لهم وتصدق منهم فأعطوه فتجاوزهم الى الصحن وأنا أراه فلم يزل يحبو ويطوف على خزانة خزانة من خزائن الفرش والشرب والكسوة وحجر الغلمان والخدم ويبحث عن الأخبار ويحدث بكل شيء وانا أسمع حتى استفدت ما لم أكن أعرفه من تخبر دار الوزير ، ثم جاء الى باب الحرم فدعا للخادم الموكل بالباب فتصدق عليه وأعطاه وجلس هناك يتطايب ، وكل من دخل وخرج من جارية او خادم يسأله عن خبره ويولع به ويهب له شيئاً ويستخرجهم أخبار الدار وينقل مافيه ويقول : قولوا لستنا فلانة تهب لي ما وعدتني به ، وقولوا لستي فلانة تتصدق عليّ ، وسلوا ستي القهرمانة الفلانية عن خبرها واقرؤها سلامي : وأنا أشاهده وأتعجب منه حتى استنفد من أخبار جواري القاسم ومبيته وعند من بات منهم البارحة وما بين الجواري من السرور والانس وأخبار كسوتهم وأشياء من هذا الجنس كل شيء طريف ، ثم زحف ودخل دار الخلوة التي يخلو فيها الوزير — وكان يركب منها — فيهش به فراشو الحجرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والخاصة والخدم والغلمان الأصاغر وضاحكوه ودعا لهم وأخذ من بعضهم برّاً، وسألهم عن خبر الوزير في خلوته تلك وشربه، وقال له بعضهم: هو مغموم غماً شديداً منذ يومين لا نعرف سببه فما يشرب ولا يأكل ولا نوم ولا خلاو: كل ذلك يظهر في مسائلته التطايب وانه كالمتغير المعتوه، ويحمل أولئك الفاظه على هـذا، فيخبره منهم الضعيف العقل والمزّاح والأخرق، وهو يحتمله الى أن فرغ من أهل حجرة الخلوة، ثم خرج فزحف أشد زحف على هينته، لا يعرج على شيء حتى جاء إلى مجلس الكاتب، فأقام هناك طويلاً ففعل كفعله، ثم خرج عن الباب وقد ملأ زنبيلاً كان معه من الخبز والحلوا والطعام وملأ جيبه من الدراهم فلما صار على باب الدار قلت للبوابين: تعرفون هذا؟ فقالوا رجل زمن ابله يجيء فيتصدق وخلقه طيب فكل من في الدار يستطيبه ويبره، قلت قد رحمته واشتهيت آخذ له شيئاً، ففيكم من يعرف بيته؟ فقالوا لا، فركبت واتبعته ولحقت به ووقفت كأنني أحدث غلامي وأسير خلفه على تؤدة، حتى جاء الى الجسر فعبره زحفاً وأنا وراءه ودخل الخلد ودخلت معه وولج في خان، فقلت لغلامي: اتبعه فاعرفْ بيته في الخان ففعل وعاد إليّ فوصفه لي، (فوقفت) متحيراً لا أدري ما أعمل ولا من أسأل عنه وأخاف أن أنفره فيهرب، وطال وقوفي وهممت بالانصراف فاذا به قد خرج بريئاً نظيفاً بثياب مَرَوية ولحية بيضاء وطيلسان وعمامة قد جعلها فوق حاجبيه، فلولا قرب عهدي به وبروئته لما عرفته واذا هو يمشي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا قلبة [١] به ، فتأملت لحيته واذا هي ملبسة فوق لحيته وقد أخفاها بعمامته وانما فطنت لذلك لشدة تأمله وصرف اهتمامي الى ذلك مع قرب عهدي برؤيته ، ومشى فدخلت الى مسجد وغيرت عمامتي وأمرت غلامي أن يأخذ دابتي ويقف لي عند الجسر بها ، ونزعت خفي ولبست تمشك [٢] غلامي ومشيت فاتبعته بسرعة مشيته ، ومضى حتى أتى دار ابن طاهر فخرج اليه الخادم فما منهما من كلم صاحبه بأكثر من أنه أخرج رقعة لطيفة فسلمها إلى الخادم ،ودخل الخادم ورجع هو ، فلم أتبعه وامتدبت الى درجة يعقوب فركبت في سميرية وصعدت الى دار الوزير فدخلت اليه وهو يطلبني للاكل ، فأكلت معه وقام الناس فجلست ، فقال لي : قل ، فقلت : فعلت البارحة كذا وكذا ، وجرى في دار حرمك كذا ، وقالت فلانة كذا ، وقالت جاريتك الفلانية وخاطبتك بكذا ، وفلان الخادم الصغير فعل كذا ، قال وكنت قد سمعت في خلال ذلك أخبار الحاشية بعضهم في بعض ، لا أظن صاحب الخبر عرفها ، ولكن كما انجرّت الأحاديث فأخبرته بذلك كله ،فقال لي : ويحك ايش تقول من أين لك هذه الأحاديث ؟ فقلت : من حيث خرج حديث الشاذكاني ، فقال اخبرني فقلت الجائزة ، فقال احتكم ، فأخبرته بخبر الزَمِن على جهته ، فجذبني

(١) القلبة الداء (٢) التمشك نوع من المداس ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ٢ : ١٦٤ (أراد ابن الصلاح أن يستعمل له تمشكاً بغدادياً فدل على رجل يقال له سعدان الاسكاف فاستعمل التمشك عنده ولما فرغ منه وجده ضيق الصدر زائد الطول رديء الصنعة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقبل بين عينيَّ وأمر لي بمال جليل ، وقال : أريد أن تحصله من حيث لا يعرف خبره ، فقلت أنا على ذلك ، فتقدمْ الى بعض الغلمان الخاصة أن يطيعني ، فجمع بيني وبين غلام منهم وتقدم اليه بذلك ، فلما كان من الغد باكرت الدار وجلست (انتظر) الرجل ، فاذا به قد جاء على زي أمس في البزه والزمانة ، ودخل ، ولم أعرض له حتى دخل حجرة الخلوة فاتبعته ، وقلت للغلام : خذ هذا ، فأخذه وقفلنا عليه باباً من الحجرة ، فاضطرب وبكى ، ونزل الوزير فأسررت اليه الخبر ، فرفض شغله ودخل الحجرة واستدعى به ، فجاء يزحف فوكزت عنقه وقلت له: قم ياعاض ... فأمش مشياً صحيحاً كما رأيتك تمشي بالامس ، فقال : أنا رجل زمن ، فأحضرت له مقارع ، فلما رأى المصدوقة قال [1] فمشى ، فقال له القاسم : اصدقني عن خبرك والا قتلتك الساعة ، فقال : أنا صاحب خبر المعتضد عليك منذ كذا وكذا شهراً أفعل كذا واصنع كذا ، وذكر مثل ما أخبرته به ومتر [2] وانه يجمع الاخبار ويكتب بها في كل نصف نهار من كل يوم ، ويوصل رقعة لطيفة بذلك الى الخادم الموكل بدار ابن طاهر ، فيمضي به ذلك الخادم الى المعتضد ، فان الخادم هو الواسطة بينهما ، وانه اذا كان في رأس كل شهر سلم اليه الخادم ثلاثين ديناراً عيناً ، قال فعرّفني أي شيء أنهيت من أخباري طول هذه المدة ؟ فذكر له أشياء كثيره منها خبر الشاذكلي ، فحبسه القاسم في ذلك البيت ، فلما كان في الليل قتل [3] ودفن

(١) الصواب : قام (٢) الكلمة مطموسة ولعله : ينزعه أي أسلوبه

(٣) وفي الفرج بعد الشدة ان لم يقتله فأمره المعتضد بإطلاقه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فانقطع خبره عن المعتضد ، فلما كان بعد شهر وا كثر قال لي القاسم : استرحت من ذلك الكلب ، ما أرى عند المعتضد من خبري شيئاً ، ولا أرى عليه أثراً يدل على وقوفه على شيء من امري .

* * *

حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم ، قال حدثني أبي قال كان أبو بكر بن رائق شديد الاعجاب بغناء أبي القاسم بن طرخان وكان اهلاً لذلك ، وكان أطيب الناس حلقاً وأحسنهم صنعةً ، وكان يجس الطنبور جساً أطيب من الضرب ، تكاد القلوب اذا سمعته ان تخرج من اضلاعها استطابةً له ، وكان اذا ابتدأ يجس ابتدأ ابن رائق يشرب أقداحاً [1] الى ان يجيء [2] الغناء ، فقال له [3] يوماً : يا ابا الحسن ماترى هذا الجس الذي ليس على وجه الأرض اطيب منه اي شيء يشبه عندك ؟ فقلت ايها الأمير يشبه رسول الحبيب يستأذن لزيارته فأعجبه ذلك ، ثم حدث بهذا الحديث عبيد الله بن محمد الصوري فعمل بحضرتي في ذلك شعراً وانشدنيه :

قامت تذود كرى المحِـ ـبّ وقد غفا عن مقلتيه
وتجس قبل الصوت مثـ ـنى عودها شوقاً اليه
فكأنه في قلبه اذ نبهته ومسمعيه
نغم الرسول مبشراً بقدوم من يهوى عليه

* * *

وحدثني ابو الفتح قال : كنت بحضرة أبي وبحضرته مغنٍّ يغني ،

(١) كلمة أو كلمات مطموسة (٢) لعله : يختم (٣) لعله : لي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فمرَّ في بعض لحنه بميم فبيَنها ، فقال له ابي : اذا مررت في الجانك بميم او نون فزمّها واعصرها ، وانا ضامن لك طيبة ذلك غارم لك كلما يجني عليك ، قال فأعاد الصوت وزم الميم زماً شديداً فتضاعفت طيبته .

* * *

سمعت (الوزير ابا) محمد المهلبي يتحدث يوماً في مجلس أُنس حضرته قال : كنت قد خرجت من الاهواز مع ابي جعفر الصيمري نريد السوس وهو اذ ذاك عاملها لمعز الدولة وكانت والدة ابي الغنائم اذ ذاك بالسوس وانا في عنفوان اشتهاري بها وقد اشتد شوقي اليها (يعني تجني جاريته) فلما صرنا في الرمل الذي في الطريق هاجت ريح عظيمة فسفت علينا تلك الرمال فذكرت بيتي الفرزدق وهما :

وركب كأنّ الريح تطلب عندهم ... لها سلباً[1] من جذبها بالعصائب

نصبت لها نفسي وانصبت صاحبي ... إلى ان نزلنا في ديار الحبائب[2]

فعملت :

وريح تقيم[3] الحر مما تثيره ... وتستلب الركبان دون[4] العصائب

نصبت لها نفسي وانصبت صاحبي ... الى ان نزلنا في ديار الحبائب

(قال وأنشدني لنفسه) :

---

(١) المشهور ترةً كما في الديوان (٢) هذا البيت من شعر المهلبي الآتي لا من شعر الفرزدق (٣) لعله تغيم الجو (٤) لعله ريط أو هدب أو مافي معناهما على أن في البيت رواية أخرى وهي :

وريح تضل الروح عن مستقره ... وتستلب الركبان فوق الركائب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يحسب[١] العين أنها طرحت على فؤادي ثقلاً من الشعف
ما أبله العين في توهمها[٢] ضرب من التلف

* * *

أخبرني ابو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الايذجي وكان يخلف ابي على القضاء بايذج وعلى رامهرمز ثم لم يزل على الحكم ونادم أبا محمد المهلبي في وزارته فغلب عليه وعلا محله عنده وتخالع وتهتك بما لايجوز للقضاة وكان يدعى بالقضاء ويخاطبه أبو محمد في الوزارة في كتبه بسيدي القاضي وكان له محل مكين من الادب قال وردت البصرة وانا حديث السن لأكتب العلم وأتأدب فلزمني أبو عبد الله المفجع وكنت اقتصر عليه فكتب إليّ يوماً وقد قرص الهواء :

يا بهذا الفتى وأنت فتى الده ر اذا عز أن يقال فتى
طوبى لمن كان في الشتاء له كاس وكيس وكسرة وكسا[٣]

وكتب في الرقعة قد بقيت كاف أخرى لولا اني أحب تقليل المؤونة عليك لذكرتها يعني . . . فبعث[٤] اليه بجميع ما التمسه

وحدثني صديق لأبي وعمي أيام وفد[٥] الى كور الأهواز في فتنة الزنج فلما قدمت الى البصرة قدمها[٦] مع أبي فأنزلنا ابو خليفة داره واكرمنا

(١) لعله : أتحسب (٢) الكلمات مطموسة ولعل الأصل : لها عليه
(٣) راجع المقامة الـ ٢٥ للحريري التي ذكر فيها كافات ابن سكرة
(٤) لعله : فبعثت (٥) لعله : وفدا ويظهر من الحكاية ان المحدث هو الايذجي ولعل الجملة ناقصة والصواب : وحدثني قال كان أبو خليفة صديقاً الخ (٦) لعله : قدمتها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومكنني من كتبه فكنت اقرأ عليه كلما أريد وأسمع كيف شئت وأحب وأكتب وأنسخ لنفسي أصوله فاذا كان الليل جلسنا وتحادثنا فربما رُمت القراءة عليه فيجيبني فاذا اضجرته بكثره القراءة عليه يقول يا بني روّحني فأقطع القراءة واذا استراح اخرج من كمه دفتراً في ورق اصفر من الورق العتق فيقول أقرأ علي من هذا فانه خطي وما تقرأه علي فهو غير خطي فكنت اقرأ عليه منه و كان فيه ديوان عمران بن حطان و كان يبكي على مواضع منه فأنشدته ليلةً القصيدة التي فيها :

(يا ضربة من كريم ما[1] ارادبها الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

اني لأذكره يوماً فأحسبه أحظى البرية عند الله ميزانا

فبكى عليها لما انتهيت اليها حتى كاد أن يغمي عليه فاستطرفت ذلك وعجبت منه فلما كان من الغد اجتمعت مع المفجع فحدثته بذلك واغتررت به للادب واستكتمته اياه لمشاغه[2] وعمل :

ابو خليفة مطوي على دخن للهاشميين في سر واعلان

مازلت أعرف مايخفي وانكره حتى اصطفى شعر عمران بن حطان

وانشدنيها لنفسه و انشدتها غيري فكتبها عنه بعض أهل الادب في رقعة لطيفة وجعلها في مقلمته وحضرنا عند ابي خليفة في مجلس عام فقبض الرجل مقلمته ليرى مافيها فسقطت الرقعة فانصرف (الرجل) فوجدها

(١) الكلمات مطموسة في الأصل فأتينا بها من كتاب الاغاني ١٦ : ١٥٣ والشاعر يمدح قاتل علي بن أبي طالب (٢) لعله صوابه خشية المشاغبة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابو خليفة وقرأها[١] ان الابذجي قبحه الله وترحه بدمي علي[٢] بأبي العباس الشاهد يعني والدي فجاءه فحدثه الحديث فوقعتُ في ورطة وكادت الحال أن تنفرج بيني وبين أبي ومنعني ابو خليفة القراءة واحتشمت فحملت اليه ثياباً لها قدر واهديت اليه من مال كل الجند واعتذرت اليه فرجع وقبل عذري وعاد[٣] تدريسي ومكنني من القراءة عليه فقرأت كتاب الطبقات[٤] وغيره مما كان عنده وقال : فلا أظهر الرضى عنك او تكذب نفسك ففعلت ذلك وأعطيت المفجع ثوباً دبيقياً حتى كف عن انشاد الابيات وجحدها واعتذر الى أبي خليفة وقال لي ابو علي عقيب هذا اكثر رواة علم العرب فيما بلغني عنهم ، اما خوارج او شعوبية كابي حاتم السجستاني وابي عبيدة معمر بن المثنى وفلان وفلان وعدد جماعة

انتهى الجزء الثاني

---

(١) كلمات مطموسة معناها فاستشاط غضباً فقال (٢) يريد يسعى على دمي ولعل العبارة محرفة (٣) لعله سقط : الى (٤) طبقات الشعراء الجاهليين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net